بسم الله الرحمن الرحيم

مسجد الشيخ في دخنة بالرياض قبل خمسين عاماً

في عام ١٣٧١هـ حظيت بما لم يحظ به الآخرون غيري ممن هم في سني أو أكبر مني وذلك بموافقة أو أمر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ أن أسكن غرفة في المسجد هي معتكف الأمير محمد بن عبد العزيز بن سعود بن فيصل بن تركي رحمه الله.

وهذه الغرفة لها مميزات بأنه مجصصة بالجص الأبيض وأرضيتها قد صبت بالأسمنت، بخلاف بقية الغرف الأخرى الداخلية بالمسجد، وموقعها شرقي المسجد ملاصقة بجدار المكتبة السعودية وبابها قد صبغ بالصبغ البني وتغلق بالمغلاق (الكيلون).

من هنا كان حديثي عن المسجد كمن يكتب عن بيته ويتحدث عن مسكنه مسجد الشيخ، هكذا أطلقت عليه الأفواه ولكن من هو الشيخ:

وهو الشيخ المعهود محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، الحاضر في الأذهان، غير أن التاريخ يثبت أن المسجد أسس عام ١١٨٧هـ خطه وحدد قبلته الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب فكان هو مسجد الشيخ، تتابع آل الشيخ على إمامته والتدريس فيه خلف الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، وخلفه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، ثم الشيخ محمد بن إبراهيم حتى عام ١٣٨٩هـ، ثم خلفه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف إلى أن انتقل إلى الجامع الكبير، ويصلي الجمعة به حالياً الشيخ المفتي محمد بن حسن بن عبد الرحمن بن الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، هكذا تسلسلت الإمامة لهذا المسجد من الأسرة المباركة آل الشيخ قرابة قرنين من الزمان.

والحديث عن مسجد الشيخ يتضمن عدداً من المحاور أجملها فيما يلي:

المحور الأول: الاستقرار السكني للطلبة، ولكثرة الطلبة المغتربين من خارج الرياض قد هيئ لهم استقرار سكني فكان هناك ما يدعى ببيوت الإخوان وعددها يزيد على عشرة، ومنها بيت الإمام عبد الرحمن الفيصل غربي المسجد، ومن سكان هذا البيت الشيخ عبد العزيز بن رشيد الذي كان آخر أعماله رئيساً لتعليم البنات، والشيخ سليمان العبيد رئيس رئاسة الحرم المكي والمدني، ومن بيوت الإخوان بيوت الطبيشي وكانت للملك سعود قبل ولاية العهد، وهذا البيوت مجاورة لبيت الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف شرقي المسجد، كما كان للطلبة سكن يدعى بالرواق أو الرباط وهو عبارة عن غرف بنيت على دكاكين دخنة من الشرق إلى الغرب قرابة أربعين غرفة، وفي ساحة دخنة ارتواز (بئر ارتوازية) يشرب الناس منه مقابل الرباط من الجنوب، وله حوض كبير يدعى بالمدي مغاسل للعامة ويسقون منه بائعو الماء، وكان إذ ذاك يسقى على الحمير ثلاث قرب أو أربع تنك ومجموعاً يدعى بالزفة، والزفة تباع بأربعة قروش، ويستخدم هذا الماء للشرب أو الغسيل، إذ ليس فيه ما يستقذر، بل هو ماء زلال طبيعي، كما أن مسجد الشيخ يجاوره عدد من بيوت المهاجرين من اليمنيين وأميرهم يحيى بن حزام، ومنهم حسين بن غانم وابنه عبد الله ومحمد بن أحمد والمهدي، وكان هؤلاء وأمثالهم من عمار المسجد تعبداً وتلاوة وكان ممن يبادر في صلاة التهجد في المسجد عدد كثير يأتون في الساعة السابعة بالتوقيت الغروبي، التي تساوي قرابة الساعة الواحدة أو الثانية بالتوقيت الزوالي، يمكثون في المسجد حتى إشراقة الشمس وكان ممن جاور المسجد الشيخ عبد الله بن سعدون المنتفق من أشراف العراق المهاجر، حفظ القرآن الكريم وتتلمذ على المشايخ، وأخيراً انضم إلى حاشية الملك عبد العزيز ثم الملك سعود رحمهم الله. وبهذا يتبين الاستقرار السكني من أهم عوامل الرغبة ومواصلة الدرس، وقد كان لهذه البيوت الوقفية أثره الطيب في

احتضـــان الغرباء والفقراء من الوافدين إلى الرياض لغرض الدرس والتلقي له على علماء الرياض في مركز الدولة العاصمة.

أما المحور الثاني: فهو الإعاشـــة فقد رتب للطلبة مخصصات شـــهرية، منها ما هو عيني كالتمر والأرز، ومنها ما هو نقدي. حدثني بعضهم قال: دعا الملك عبد العزيز الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف على مأدبة غداء فلما تقدموا وجلســـوا حول المائدة وضع الشـــيخ عبد الله يده على الصحن فقال الملك: سم الله يا شيخ وكل. فقال الشيخ: لا أستسيغه وطلاب العلم في الغرف بعضهم لا يجد قوت يومه فقال الملك: سم الله وأنا أعدك بما يصرف لهم إن شـــاء، ثم أمر الملك عبد العزيز بصرف ســـتة أريل لكل طالب علم ثم جاء الملك ســـعود وجعلها إثني عشـــر ريالاً، وكنت ممن استلمها، كما يصرف لهم شهرياً الصيف والشتاء للكبير مائة ريال وللصغير سبعون ريالاً. أما الطلبة القدامى فلهم مخصصات في بيت المال يصرف لهم من الزكوات من التمر والعيش وهي التي تدعى بالبروة.

المحور الثالث: التعليم وانتظام الدروس فقد كان هذا المسجد مناراً أضاء أرجاء الجزيرة العربية بالقضاة والمدرسين والمرشدين والداعين والمستشارين، فهو الجامعة، وهو الملتقى للعلماء وقد كانت برامج التعليم فيه كالآتي:

أ ـ الشـــيخ محمد بن إبراهيم وهو عمدة المدرسين في هذا المسجد يبدأ مـــن بعد الصلاة الفجر حتى الضحى يدرس فنون العلم في التوحيد والفقه والحديث والنحو في المختصرات والمطولات.

ب ـ الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم أستاذ النحو والفرائض، يدرس بعد كل فجر الآجرومية، وبعد صلاة المغرب الرحبية في الفرائض.

ج ـ الشـــيخ عبد الله بـــن إبراهيم، يدرس في ناحية المســـجد الأصول الثلاثـــة ومعرفة الرب لعوام الناس، فكان يدعى عقب صلاة الفجر، وبعد عد المصلين أفراداً يلزمون بالحضور عند الشيخ عبد الله بن إبراهيم لتلقينهم معرفة الرب ومسائلهم.

د ـ مدرسة تعليم القرآن الكريم يدرس فيها آل مفيريج ناصر وابنه عبد المحسن، والتي قد درس فيها الشيخ محمد بن إبراهيم القرآن الكريم على جدهم. وكان لهذا المدرسة مبنى مستقل في ناحية المسجد الشمالية الشرقية على مدخل الباب.

هـ ـ تخصيص مدرسين في المسجد لتحفيظ القرآن الكريم، وعددهم خمسة: منهم الشيخ عبد الرزاق القشعمي، والشيخ إبراهيم المغربي وهو أحسائي، والشيخ محمد المهدي الشنقيطي، والشيخ محمد بن أحمد اليماني؛ فهذا هو برنامج التعليم في مسجد الشيخ إلى أن فتحت المعاهد العلمية واستمر التعليم في مسجد الشيخ. وكان ممن يدرس فيه الشيخ عبد العزيز الشتري أبو حبيب، وواصل سماحة الشيخ محمد التدريس فيه إلى أن شغل بمهام رسمية: الإفتاء ورئاسة القضاء والمعاهد والكليات، غفر الله له.

المحور الرابع: المكتبة السعودية، وقد تبنى سماحة الشيخ محمد المكتبة مجاورة لمسجده من الجهة الشرقية، ولعلها أول بناء مسلح بالأسمنت والحديد في الرياض وقد استقدم إليها من الهند رجلاً يدعى بالحريري نظم المكتبة ورتبها أحسن ترتيب، وقام بإدارتها الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، والشيخ العلامة عبد الرحمن بن قاسم ،كما قام بإدارتها الشيخ محمد الدريبي وكيل وزارة الداخلية للشؤون الأمنية. وبهذه المكتبة مخطوطات أثرية ومراجع علمية كانت تزخر بالمراجعين والباحثين، وأذكر ممن هو مرابط فيها الشيخ زيد بن فياض من العلماء البارزين والمؤلفين المشهورين. وهذه المكتبة هي امتداد للنشاط التعليمي في مسجد الشيخ إذ كانت الكتب نادرة الوجود في أيدي الطلبة والباحثين، وقد نقلت هذه المكتبة إلى رئاسة البحوث العلمية وأدخلت أرضيتها في توسعة للمسجد، كما أهديت المخطوطات إلى مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض في أخريات أيام الشيخ عبد العزيز بن باز، رحمه الله.

المحور الخامس الأخير: ترشـــيح من عرف بالعلـــم والفضل من الطلبة بالقضاء والإمامة والفتيا، فقد كان الشـــيخ رحمه الله يرشـــح من يرى فيه الكفاية والســـداد لأعمال القضاء. ومن المؤكـــد أن ٩٠٪ ممن ولي القضاء في عهد الشـــيخ محمد بن إبراهيم هم من خريجي المسجد إلى ما بعد عام ١٣٧٦هـ حيث بدأ التخريج من كلية الشـــريعة بالرياض، ولم يكن الشيخ يمنح إجازات ولا شهادات، ولكنه يميز الطلبة تمييزاً عاماً في العلم والإدراك والعقلية، وعلى هذا يتم ترشـــيح من يختاره للوظائف الرسمية وفي قمتها القضاء، وكان تنصيب القاضي من قبل الملك عبد العزيز مباشـــرة من غير إصدار قرار محرر، ولكن بالتوجيه والأمر وربما كان بالمكاتبة، وكان الواسطة في ترشـــيح القضاة بين الشـــيخ والملك إبراهيم الشـــايقي السكرتير الخاص للملك؛ فالشـــيخ محمد بن إبراهيم يخبر الشـــايقي بأن فلاناً أهل للقضاء ويخبر الشايقي الملك عبد العزيز، ويختار الملك الجهة التي تتناسب مع هذا المرشح ويتم استدعاؤه لمجلس الملك وترشيحه على مشهد من الناس، ولم يكن طلاب العلم يجرؤون على مخالفة ترشيح الشيخ لهم وأمر الملك عبد العزير إلا النادر منهم وهم قليلون، والمقصود أن طلبة العلم ومن يتلقون في هذا المسجد لهم الصدارة والنضارة ويشار إليهم بالبنان، فهم جهة التحكيم الراضون بشرع الله والقاضون به بين عباده ولم يكن منصب القاضي آنذاك يختـــص بفض الخصومات وقطع المنازعات، ولكن له شـــمولية الولاية في إقليمه الجهة التي عين فيها ولم تكن أعمال القضاء آن ذاك مرتبطة بالروتين الإداري أو المركـــزي، فقد يحكم القاضي بقطع يد الســـارق أو قتل الجاني فيتم تنفيذه بواســـطة الأمير. إلا أن القتل وإقامة حد القصاص يحتاج إلى استدعاء جزار من الرياض لتخصصه في إحسان القتلة.

هذه المحاور الخمس التي كانت تعمر مســـجد الشـــيخ كتبتها على إثر ما تناقلت به الأنباء عن بناء هذا المســـجد وتشييده على الطراز الحديث. عسى أن يكـــون لهذا التعمير نصيب لإحياء هذه المحاور أو بعضها، حتى يصدق

على ذلك قوله الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ١٨].

نسأل الله أن يحقق الآمال على أحسن الأحوال، وأن ينصر دينه، ويعلي كلمته؛ إنه سميع مجيب. وصلى الله على نبينا محمد.

أملاه الفقير إلى مولاه
إسماعيل بن سعد بن عتيق
في ٢٤ من شهر ذي القعدة ١٤٢١هـ